تفسير القرآن الكريم

لقد كتبت مراراً حول هذا الموضوع الجليل ، فى شتى الصحف والمجلات ، ولا عجب فى ذلك ولا غرابة ، فالقرآن الكريم هو دستور المسلمين ، وقانون العالمين ، وضياء الرب للحائرين ، ومائدته الكبرى للطاعمين ، ومنهله العذب الصافى للشاربين ، وحجته البالغة المؤيدة للمستبصرين : ولقد ساءنى حقاً أن أطالع هنا وهناك أشكالا وألواناً من التفسير فأرى أن أغلبها وأكثرها لا يستقيم على الطريقة ، ولا يوفى بالغرض ، وكنت دائماً أسائل نفسى : ألا ييسر الله لهذه الأمة من يفسر لها كتابها المجيد بأسلوب عصرى حديث ، يحسن الربط بين الماضى والحاضر ، ويجيد التعرض للمشكلات فيبسطها بسط الخبير اللبيب ، ليرى الناس كيف انطوى القرآن الحكيم على عظات وآيات هى غاية الغايات فى الهداية والتقويم ؟ ! .

كنت أسائل نفسى ، وكان كثيرون يسائلون أنفسهم هذه المساءلة من غير شك ، حتى طلعت عليهم الأقدار المسعدة بتلك المواسم اليعقوبية التى شهدتها دار الحكمة بالقاهرة خلال الأعوام الثلاثة الماضية ، والتى ندعو الله مخلصين أن يديمها على المسلمين حتى تكون لهم ريا ونوراً ورشادا . . . تلك المواسم هى مواسم تفسير القرآن الكريم التى فكر فيها وعمل لها ودعا إليها وسهر عليها وأنفق الكثير والكثير من أجلها الرجل المصلح ، والمسلم العامل ، والمجاهد فى سبيل الله بماله وعصبه الحاج يعقوب بك عبدالوهاب ، والتى اشترك فى إلقاء محاضراتها أربعة أعلام تجلهم مصر ، ويعرفهم العالم الإسلامى خير معرفة وهم الأساتذة الأجلاء ، والأماثل الأقطاب الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبدالوهاب خلاف والأستاذ عبدالوهاب حمودة ، والدكتور عبدالوهاب عزام ، وكل من هؤلاء الأعلام يستحق جزيل الشكر وبالغ الثناء ، وإن نكن قد حرمنا من الدكتور عزام فى هذه المحاضرات لسفره إلى المملكة العربية السعودية فى واجبه الوطنى فلا زلنا نذكر له ماقدم ، ولن ينتفع بحاضره من لم يربطه بماضيه ! . .

لقد تابعت هذه المحاضرات وحرصت عليها ، فرأيت كيف يعرض فيها أسرار القرآن الكريم عرضاً حديثا جديداً كله التشويق والترغيب ، وكيف تفسر ألفاظ القرآن وآياته تفسيراً فيه الدواء والغذاء لكل طالب ، فهذا شلتوت عالم يعرض الأهداف والمقاصد العامة للقرآن ، متناولا سور القرآن واحدة فواحدة ، فكأنه يضع لك المبادىء العامة والأهداف الكلية للقرآن ، ثم يريد أن يطبق لك هذه الكليات على جزئية من جزئيات القرآن فيتناول من السورة آية أو جملة آيات ، ثم يظل يدرسها ويحللها ويفسرها ويستخلص منها ويطبق عليها حتى يضع فى يديك المصباح ويدعوك إلى المسير ! .

وهذا خلاف عالم ثان ضليع متمكن ، قدير على استخلاص الأحكام ، والتوفيق بين الآيات ، وبسط الشبه ، ثم الكر عليها بما يدمغها ، فإذا هى زاهقة . وتصحيح الأوهام والأخطاء التى وقعت قديماً أو حديثا . وتعويد المسلم البصير على الموازنة فى الأقوال ، واختيار الراجح الأفضل منها ، لا عن هوى ، بل عن عمق نظر وطويل تدبر . . . وهذا حمودة أستاذ أديب ، طعم من القرآن طويلا ، وجلس إليه طويلا ، ونظر فى آياته وحروفه طويلا ، حتى يخيل إليك أنه قد اختلط به ودخل فيه ، ولذلك هو يبدو مشوقا فى قراءته وعرضه وأسلوبه ، وكثيراً ماروعك منه لفتات أدبية ووقفات ذوقية ولمحات بيانية تجعلك تؤمن بأن طول النظر فى القرآن يهدى إلى الأعاجيب ! . . وبمثل هذا التعاون فى عرض النواحى المختلفة لعظمة القرآن الكريم يكون التفسير فى هذا العصر الحديث ! .

إنى أومن بأن هذه المحاضرات التى استمع إليها المصريون خلال الأعوام الثلاثة الماضية فتح جديد فى تفسير القرآن ، ومن الواجب أن تتصل وتزيد وتتضاعف ، وأن يتسع نطاق نشرها ، وأن يطبع ما يقال فيها ، وأن يهتم لها المسئولون وغير المسئولين ، وأن يقتدى بها القادرون فيعملوا على غرارها فى مصر وفى البلاد الاسلامية ، ويومها سيرى الناس أنفسهم مدينين بالشكر والدعاء والثناء على الرجل المخلص الغيور الحاج يعقوب بك عبدالوهاب صاحب فكرة هذه المواسم ، ومن سن سنة فله اجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، والله يهدى العاملين ! !

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

أعلام الكويت - ٩

الحاج عبد الله الاحمد النفيسى

١٢٧٨ - ١٣٦١

السرى الكريم والوكيل الكويتى للبيت المالك السعودى فى الكويت ، ولد فى الرياض عاصمة نجد كأغلب أجداد الكويتيين الذين نزحوا من نجد واستوطنوا الكويت ، هاجر مع والده بمعية الإمام عبد الرحمن وابنه جلالة الملك عبد العزيز حين تركوا عاصمة ملكهم مغلوبين على أمرهم عام ١٣٠٨-١٣٠٩هـ (١٨٩١م) إلى الكويت ، واستقروا بها متحينين الفرصة التى واتت بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ . نزح مترجمنا ووالده من نجد بحكم العلاقة العريقة مع البيت السعودى فقد كان وآباؤه يتولون الإشراف على هذا البيت أباً بعد أب ، فلا غرو أن يدع آل النفيسى كل عزيز ، ويسيرون فى ركاب المهاجرين، تضحية منهم ووفاء لأرباب نعمتهم .

أخذ الأب والإبن حين اتخذا من الكويت موطناً يتجران بالخيل ويسافران بها إلى الهند وكانت هذه المهنة تدر أرباحاً فى ذلك الزمن ، وإن كان ممتهنها يتكبد مشقة وتعباً ، فعليه أن يبحر بها فى سفينة شراعية إلى الهند أو المكان الذى به تطلب ، وعليه أن يحوطها بكل رعاية حتى تكون قوية وسليمة يوم يعرضها للهواة والراغبين .

ولا بد أن نشير هنا إلى أن الكويت كانت فى القرن الماضى وأوائل هذا القرن من أبرز بلاد العرب فى تصدير الخيل الكريمة إلى الهند وغيرها ، ويشتغل بهذه التجارة تجار عديدون من الكويتيين ، ومن هؤلاء التجار من لهم مكانة اجتماعيـــة وتاجروا بهذه التجارة بنطاق واسع فبنوا الاصطبلات الكبيرة وتدعى (الجواخير) ونذكر منهم فى هذا السياق آل العدوانى ، والصبيح ، ويوسف البدر ، وهذا الآخر أكبر من تاجر بها ، يروى ابنه ناصر البدر أنه فى سنة من السنين حال الحول على ما يزيد عن مئتى رأس من الخيل لوالده فى بومباى ، ولم يقدر لها أن تباع . قال : فسرنا بها بطريق البر إلى كلكته لبيعها وما كان القطار يومذاك متصلا إلى البنغال فاستغرقت الرحلة إليها ثلاثة شهور .

نقول بعد هذا الاستطراد إن الحاج عبد الله زاول مع أبيه هذه التجارة وتركها بعد أن كسدت إلى تجارة اللؤلؤ والتجارة العامة ، دأبة كدأب كل كويتى كفء يليق لكل مهنة شريفة فان كسد عمله الذى شب عليه ومهر فيه فإنه لا يتخاذل وينهزم من ميدان العمل ظاناً أنه لا يصلح إلا للمهنة التى ألفها وعاش من كسبها .

ظل المترجم على هذه الحال حتى دعاه الملك عبد العزيز عام ١٣٣٩ هـ ، وعرض عليه إمارة الجبيل فاعتذر من قبول ذلك مؤثراً العمل الحر ، فطلب منه الملك أن يسافر إلى الجبيل وينتصب عليها أميراً من قبله فرحل إليها وفعل ما أمر الملك وبعد سنة من إقامته فى الجبيل سافر إلى الرياض ليستأذن من الملك فى فتح عمل تجارى له فى الجبيل وعند وصوله الرياض صادف قدوم صاحب السمو المعظم الشيخ أحمد الجابر الصباح حاكم الكويت الحالى مندوباً من قبل حاكم الكويت إذ ذاك ، المرحوم الشيخ سالم المبارك ، لإتمام الصلح بين نجد والكويت ، وفى أثناء المفاوضات وصل نعى الشيخ سالم رحمه الله إلى الرياض ، وبعد أن تكللت المفاوضات بالنجاح طلب صاحب السمو المعظم من جلالة الملك أن يسمح باصطحاب الفقيد معه إلى الكويت ، فرجع إلى الكويت وكان اختيار صاحب السمو له كدليل لحب الكويتيين لهذه الشخصية المخلصة ، فقد كان رحمه الله يتمتع بثقة الكويتيين لما يعرفون عنه من طهر سريرة وصلاح ونبل وشرف ، وما يكنه لوطنه الكويت من إخلاص ، وخلف أبناء نجباء أولاهم جلالة الملك ثقته من بعد والدهم رحمه الله تقديراً منه لهذه الأسرة الطيبة .

« شرقاوى »

من مصادر هذه الترجمة الفاضل سمود العبد الله النفيسى وأحد الرواة الثقاة .

سلاح العصر

وهل يجهل أحد سلاح العصر؟ ... هو القنبلة الذرية . القنابل الصاروخية ... هو الطائرات اللاسلكية ... هو قنابل الميكروبات ... هو الغازات السامة ...

ونحن نرى الآن أن من يملك هذه الأسلحة هو الذى يقتعد ذروة المجد ويعتلى عرش السيادة .

نعم هذا حق ولكن سلاح العصر وراء كل ذلك - هو العقل الراجح والرأس الناضج والعلم الواسع ..

فهل تظن أيها القارىء العربى أن أصحاب هذه المخترعات الفتاكة قد وصلوا إليها بدون فكر عبقرى وعلم صحيح ؟ وهل يمكننا نحن العرب أن نصل إلى السيادة أو أن ندفع عنا الظلم بغير سلاح!.. ومن أين نأتى به ؟. هل من المعقول أن يعيرنا إياه أو يبيعه لنا أصحابه لنطعنهم به !.. اللهم كلا .

إذن فليس لنا إلا أن نسلك الطريق نفسه الذى سلكه الغربيون وهو طريق نشر العلم والثقافة ، بين أبناء العروبة أجمعين .. ولاشك أنه طريق شاق طويل ، ولكنه موصل للغاية على كل حال، ومن سار على الدرب وصل ، فإننا إذا لم نحصل على الأسلحة من أصحابها فلا شك أننا نستطيع أن نتعلم كيف نصنعها ، فالعلم حقيقة إلهية وهبها الله البشر ولا يمكن أن تقف قوة فى طريق من يريد الوصول إليه . وعليه فقط أن يجد وان يثابر وأن يخلص .

فتعلموا أيها العرب ، وأتقنوا ماتتعلمون ..

تعلموا لغتكم وأتقنوها فهى قوام شخصيتكم، وهى الرابطة التى لاتنفصم عراها بين مجدكم القديم ومجدكم المأمول .. وتعلموا لغة الغرب وأتقنوها فهى السبيل إلى أن تتعلموا علمهم وترتقوا رقيهم أو على الأقل لتدفعوا ظلمهم ، ومن تعلم لغة قوم أمن مكرهم .

وتعلموا تاريخكم وتاريخهم . وعاداتكم وعاداتهم واعرفوا أخلاقكم وقوموا المعوج فيها ، وادرسوا أخلاقهم واقبسوا الصالح منها وانبذوا الفاسد .. ووراء كل ذلك بل بل أهم من كل ذلك ، تعلموا العلوم العملية ولا تقفوا عند النظريات فقد مضى عهد الفلاسفة ولا وجود لهم الآن إلا ليخدموا المصانع والمعامل .

ولا شك أن اليوم الذى تمحى فيه الأمية وينكشف ظلام الجهل عن أبناء العرب أجمعين - لهو أحق يوم بالتخليد على الدهر .

وعلى ذلك فيجب أن يكون مقياس الرقى بين الدول العربية هو انتشار التعليم فيها وارتفاع نسبة المتعلمين من أبنائها .. فإن ذلك هو دليل قربها أوبعدها عن ذلك اليوم المنشود .

وإن لى فى هذا المقام أن أنوه بذلك المجهود الكبير الذى تبذله إمارة الكويت للوصول إلى هذه الغاية النبيلة . تلك الإمارة الصغيرة فى عدد سكانها ، الكبيرة بهمة رجالها المسئولين .

وإن نظرة سريعة إلى الإحصائيات التى تنشر تباعا فى «البعثة» عن تطور حركة التعليم فى الكويت ومدى اتساعها فى سنوات قليلة ترينا كثرة المدارس وتنوعها من ابتدائية وثانوية وتجارية ودينية فضلا عن مدارس الرياض فى المدينة والقرى .. وتدلنا على أن الكويت لو سارت قدما بهذه السرعة فإنها تكون أول البلاد العربية وصولا إلى ذلك اليوم الخالد المنشود الذى تعلن فيه أنها قد قضت على الجهل والأمية ، فترفرف رايات العلم والعرفان على ربوعها .

وحبذا - فى سبيل الوصول سريعا إلى تلك الغاية - لو أخذت الكويت بالنظام الذى أنشىء حديثا فى مصر للقضاء على الأمية بمشروع مكافحة الأمية ، ومؤسسة الثقافة الشعبية ، لنشر الثقافة ومحو الأمية بين الكبار ..

وتجرى الدراسة فيهما غالبا فى المساء بعد أن يفرغ كل ذى عمل من عمله .

وفى الإمكان تطبيق هذا النظام فى الكويت فتفتح المدارس أبوابها فى المساء للراغبين فى العلم من غير التلاميذ .

حقق الله الآمال وأبقى للكويت رجالها العاملين وعلى رأسهم أميرها الأكبر الشيخ أحمد الجابر راعى المعارف ومشجعها ، وسدد خطا صاحب السمو رئيس مجلس المعارف فهو خير نصير لنشر الثقافة فى البلاد .

أحمد عنبر

المدرس بحلوان الثانوية